الفصل الأخير

فُقاعاتِ الهواء ونار المِدفأه

أنــتِ تكــذبين أطلقهــا فــى
صيحةٍ تَملؤها كل ثقة الأرض وشموخ النُبَلاء.... فقهقَت عالياً بِكُلِ كِبرياءٍ وعُزه :بأى حقٍ تأتى الليله وتُكذِب كَلماتى بأنَك لم تَعُد تُعنى ليَّ شيئاً اليوم؟؟..... نَفَخ دُخان سيجَارَتُه عالياً وهو يَبتسم فى شُموخ:بحقِ مشاعِرُك الدفينه التي يفضَحُها بَريق عينيكِ.... والدليل أنكِ تولينى ظَهرك الآن ولم تستطيعين مُواجَهة عَيناى..... تَبتَسِمُ فى فُتور: أوليك ظهرى من شِدةِ الإشمئزاز... فهل تتخيل أننى مازلت أحتفظ بِتلكَ المشاعر البلهاء؟؟ لقد كانت فى زمنٍ سَفيهٍ مِثلَ أحلاميّ الحائره التى كُنت تَتَجاهلُها.. وتَقوم بدورِ الفَتى النَبيل العاشِق للبَشَرِ والذي لايَفهَمُ تِلكَ المَشَاعِر فهو ساذِجٍ صاحب قَلبٍ حَنون.....

دار حولَ نَفسِهِ فى البَهوِ الواسع الذي تُنيرَه نارِ المدفأه وهو يَهمِس: لَكِنَني كُنتُ أعلم.... كُنتُ أحسَها...فقد أحسست بمشاعرك مُنذ البدايه.. كُنتِ تُحاولين الانكار.. لكننى كُنتُ أعلم.... هل تَعلَمين أنَنى كُنت أتلذذ بِها؟!!!كانت تستمتع بِدفء النيران القويه وهي تُنير المكان وتُغلِفَهُ بدِفءٍ ناعم... تَحدثت مُبتسمه: كُنتُ طِفلةً حالمة... جذبتنى شخصيتك الواثقه التى تلفها بهالةٍ مِنَ الغُموض...كان ينبض قلبى بِشِدَه كُلما أراكَ تَمشى بثباتٍ وثِقه.. وتُشيعُ حولِك دائرة الخُضوعِ والحَنان المَزعومَين.... كانَ يُضئُ عقلى بالأضواء عندما تتألق فى أبياتِ أشعارك وإستعراضِ معلوماتك الفياضه كانت تَتَلألأ فى عَيناى مِن حولِك كُراتٍ براقةٍ حَسِبتُها لآلئ أو مَاسَات... كُنتُ أحسَبَنى كحبَةِ رِمالٍ أمامَ جَبَلٍ مِنَ اليَاقُوت... أما الآنَ فقد أصبحت مالم أكُنْ أتخَيَل أن أُفكِرُ بِه... فأنتَ عندي الآن كذَرةِ تُرابٍ مُلَوَثةٍ فَقَدَتْ حتى نَظَافَتِها....كَبِركَتِ مَاءٍ عَكِرةٍ فَقَدَتْ نقاوُها بل فَقَدَت طهارتِها.....

إحتَقَنَ وجهِهِ فى إشمِئزازٍ... لَم يُصدِقَ ماسَمِعَهُ مِنهَا فلم يتوَقع أن يَسمَعَهُ مِنها بالذات! بعدَ كُلِ الإنبِهار، بعدَ بَريقُ اللوعةِ والعشق فى عَينيهَا!! تُديرُ الآنَ وجهِهَا إليهِ فى برودٍ جَليدِي!!!....

بَرَقتْ عيناهُ مَرةً أُخرى بشموخٍ جَديد.... لكنَ هُناكَ تَحتِ وسادَتُكِ وبَينَ دَفَاتِرُكِ تُوجَد ذكرياتنا، أوراق أشعاري المليئةً بعطري الدافئ.....

قَهقَهتْ مَرةًأُخرى فى ارتياحٍ وشموخ: كانت طعاماً شَهياً لِنَارِ مِدفَأتى أولِ أمس كانت مِدفأتى تَتَراقص فى بهجةٍ ومرح وتَملأ المَكان بِدفءٍ ونورٍ كَأنَها تَحتَفل بِطعامٍ مُعَدٍ بدقه... كانت أوراقِكَ بالنسبةِ لها كأنها تُشفيها من ليالِ جوعٍ مضنيه تنتظرها بشوقٍ ونهم.... كم أحسستُ أنا وهى بمَرحٍ وارتِياحٍ من نوعٍ جديد فهي التهمتها بِنَهمِ الجائع أما أنا فقد أحسستُها بدفءِ العائدِ من غيبوبةٍ طويله كانت أولِ أمسٍ ليلةً حافلةً لِكلتَينا فنَحنُ الإثنَتين ثنائياً مُرهَق من الجوعِ والبَردِ وكُلٍ مِنا أَعطَت الأُخرى ما تُريد فكان حَفلاً رائِعاً كانت تَتَراقَص نِيرانُها وتُطقطِق بذكرياتنا وأنا أتراقص مَعَها بضحكاتٍ من الاعماق.....!!! تهالك على المِقعَد يَتسائل وألف علامه من التَعجبِ تَعلو شَفتيهِ!! إفلم تستَطيعَ قدَميه أن تحملَهُ فكيف سيستطيع أن يتعايش بدونِ وجودِها بحياته أو على الأقل إحساسِهِ الأبدي أنها تفتَقده وتحتاجه فبعدَ أن واجهَ نَفسِه بحقيقة مشاعِرَه قد أوقف حياتِه المُقبله على وجودِها فقد أصبحَ الآن بنفس

وضعها السابِق لسنوات لَكن مع الفارِق فهو كان قيداً وهمياً بحياتِها وتَخَلَصت منه لكِنَها هى ليست بوهمٍ ولا غيبوبةٍ كما شَبَهَتهُ هي لكِنَها كِنزاً ثميناً قد أضاعه من يديهِ بِكُل غباءٍ وأنانيه والآن يَشعُر بألمٍ شديدٍ يُمَزق صَدرِه وكأن كلماتِها قد أصابتهُ بطعنةٍ حقيقيه بهذا القَلب الذى لطالما كان أقوى من حِجارةِ الجِبال نَظر إلى اللاشئ وكأن رأسِه تَحمل آلام العالم .... فأجابته دون أن تنطِق شفتيه السؤال وبكلِ مَرحٍ وبَساطَه:لأننى إكتَشفتُ أنَ الكُرات التى كانت

حولِكَ لم تكُن سِوى فُقاعاتِ هواءٍ فارغـةٍ تَتفَجِرَ فَورَ أن تلمِسُها الشمس..... ثم قهقهت عالياً فى مرحٍ وكبرياء.....

تمت بحمد الله

بقلم/نسرين السحماوي